كان هو البارز بين أبنائه بحيث كان يخاف عليه هذا الخوف كلّه، على أن والده قد سمح له برحلات قصيرة لا يقيم في كلّ منها أكثر من أربعة أشهر في الغالب، ويرافقه فيها بعض من يعتمد عليهم.

صلاته الشخصية وأثرها في تكوينه الفكري:

اتصل الإمام الذهبي اتصالاً وثيقاً بثلاثة من شيوخ ذلك العصر وهم: جمال الدين أبوالحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي، صاحب التصانيف النافعة ومنها (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، و(تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف)، والثاني هو شيخ الإسلام تقي الدين أبوالعباس ابن تيمية، ومناقبه كثيرة معروفة، والثالث علم الدين أبومحمد القاسم بن محمد البِرْزالي. حيث ترافق معهم طيلة حياتهم، وكان الذهبي أصغر رفاقه سناً، وكان المزي أكبرهم، وكان بعضهم يقرأ على بعض، فهم شيوخ وأقران في الوقت نفسه.

وقد ساعد في شد أواصر هذه الرفقة اتجاههم نحو طلب الحديث منذ فترة مبكرة، ويذكر الذهبي أن البِرْزالي هو الذي حبَّبَ إليه العناية بالحديث النبوي حيث قال: وهو الذي حبَّب لي طلب الحديث، فإنه رأى خطي، فقال: خطكَ يشبه خط المحدثين، فأثر قوله فيَّ.